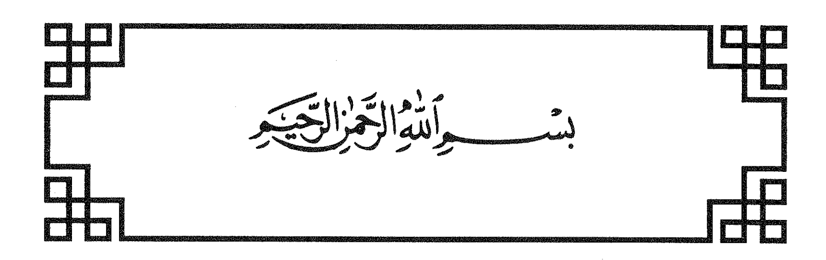
الرقابة على التراث



الحمد لله رب العالمين. أما بعد:

فقد دعاني ما كتبته عن «تحريفِ النُّصوصِ» إلى هذا الخطاب متضمناً الدعوة إلى: «الرقابة على التراث» معروضاً علىٰ أنظارِ علماء العصرِ وأساتيذِه، ومن شاء الله من النُّبهاء الفُضلاءِ علىٰ مَرّ الزَّمَانِ في كُلِّ مكانٍ، فأقول:

لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ المسلمينَ علىٰ الكافرينَ بنعمٍ عظيمةٍ، وآلاء جسيمةٍ، من أجَلِّها «نعمة التراث» في شتَّىٰ العُلومِ والمَعارفِ الإسلاميَّة، مِمَّا خَطَّتْهُ أَقلامُ المسلمين، وانفتقتْ عنه المفاهيمُ في نصوصِ الوَحْيَيْنِ الشَّرِيفين، وَمَا تَفرَّعَ عنهما، ومَا دَلاَّ عليه من علومٍ شَتَّىٰ، ومعارف جُلَّىٰ، بقي منها علىٰ الرُّغْمِ من عاديات الأيام نحو «٣٠٠٠٠٠٠» ثلاثة ملايين «مخطوط»، في نحو «٢٠٠٠» أَلْفَي مكتبة من مكتبات العالم.

ويوجد مجموعة كبيرة من فهارسِ هذه المكتبات في المكاتب العامَّة بالجامعات، والمجامعِ العلميَّة.

هذا العدد التَّقريبي للتُّراثِ الإسلامي، المحفوظ في «خزائن العالم»: تَمَيَّز به المسلمون مع تطاولِ القرون على أُمَمِ الأرض كافَّة.

فهو في تميُّزِه:

يُكَوِّنُ في حياةِ مَنْ أَلَّفَهُ، وانفتَقَتْ عنه قريحتُه:

دِيْناً يَتقَرَّبُ بِهِ إِلىٰ اللَّهِ تعالىٰ.

وَعِلْماً يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ شَاء اللَّهُ من عبادِهِ «فَرُبَّ حامل فقهٍ إلىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»، و «رُبَّ مَبلَّغ أَوعىٰ مِنْ سامعٍ».

وَحَمْلاً لِلدَّعوةِ إلىٰ اللَّهِ تعالىٰ.

وبَلاغاً إلىٰ قومٍ آخرين.

ولم يحصل لهم هذا التَّمَيُّزُ إلاَّ بعد جهدٍ جاهدٍ من الطَّلَبِ والتَّحْصيلِ وسعةِ معارِفهم وعلومِهم، وتَعدُّدِها، محفوفةً بِسدادِ كلامهم، وسلامةِ منهجِهم «رحمة اللَّهِ عليهم أَجمعين»[١].

وَيُكَوِّنُ هذا «التراث» في حياةِ المسلمين: أَمانةً تحت أيدِيهم هم مستحفظون عليها، ولعلمائهم العاملين حقّ القوامةِ عليها بحملها وتبليغها من بعدهم؛ لقول النَّبيّ ﷺ:

«يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدُولُه؛ ينفون عنه تحريفَ الغَالِين، وانتحالَ المبطلين، وتأْويلَ الجاهلين».

وإذا كان ما رُوِي عن ابن عمرَ ـ رضي اللَّهُ عنهما ـ مرفوعاً:

«اتَّقُوا اللَّهَ في الضعيفيْن: المملوكِ والمرأَةِ» رواه ابن عساكر بسندٍ ضعيفٍ: تُفيده نصوصُ الشَّريعةِ الأخرىٰ، وكلِّيَّاتها الجامعة، فإنَّ رعايةَ حرمةِ التُّراثِ كذلك، بل إنَّ حُرْمَةَ التُّراثِ تُدَاخِلُ كلَّ واحدةٍ من الضَّروريات الخمس، التي بُنِيَتْ عليها المِلَّةُ، وَدَعَتْ إلىٰ حفظِها:

- ☐ فأُولىٰ الضَّروريَّات: المحافظة على الدِّين، وهذا التُّراث من لبابِ الدِّيانة.
- ☐ والثَّانية: المحافظة على النَّفسِ، وهذا التُّراث نتاجُ عقولِ المسلمين ونَسْلُ قلوبِهم:

(١) انظر في تفصيل ذلك كتاب: «أخطار على المراجع العلمية لأئمة السَّلف» للصافي.

مَا نَسْـلُ قَلْبِي كَنَسْـلِ صُلْبِي   مَـنْ قَـاسَ رُدَّ لَـهُ قِيَـاسُـه

- والثَّالثة : المحافظة على العقل . وهذا التُّراث : غذاء عقولها .
- والرَّابعة : المحافظة على العِرض . وهذا التُّراث : عِرض الأُمَّة .
- والخامسة : المحافظة علىٰ المال . وهذا التُّراث كَنْزٌ لَهَا .

وما حق التَّأْليفِ على الذهن ببعيد .

فحقيقٌ أنْ يكونَ أَهلُ الإسلامِ لهذا التُّراث ، كالجسد الواحد ، إِذَا نِيْلَ من كتابٍ واحد ، هَرَعُوْا لِكَفِّ العدوان ، وَصَدِّ المعتدين .

وَتُرَاثٌ هذه منزلته الكبيرة ، ودرجته الرَّفيعة ، ياللّٰه! كَمْ يَفْرَحُ المسلمُ ، إِذَا فُتحت خزائنُ الكتبِ في ديارِ المسلمين ، وَجُلبت إِليها المخطوطاتُ ، أَو مصوراتها من أَنحاءِ العالم .

وكَمْ يبتهج إذا وضعت الفهارسُ لمكتبات العالم ، وطُبعت وصار ما تناثَرَ منها في أَرجاءِ الدُّنيا في زاويةٍ من مكتبته .

وَكَمْ يَنْعَمُ المسلمُ ، إِذَا رأَىٰ لافتةَ هيئةٍ تُساعد المحقِّقين عَلَىٰ حِرْفَتِهِم الشَّاقَة ، ورِحلتهم المضنية في إِخراجِ التُّراثِ .

وإِذَا رأَىٰ مَطْبَعَةً ، تُديرها أَيْدٍ غَنية ، قادرة ، أَمينة .

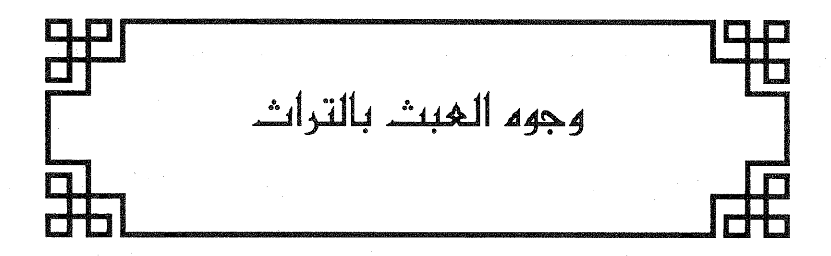
وإِذَا قامت مصلحةٌ حكومية ، أَو خَيْرِيَّة ، تعتني بتمويلِ الكتاب ونشره للنَّاس .

أَمَّا إِذَا نُفض غُبار الزَّمَنِ عن «مخطوطٍ» ، وتَدَاوَلَهُ النَّاسُ مطبوعاً ، فهذه نعمة كبرىٰ ، تحوي مجموعة آلاء :

- إنقاذ المخطوط ونشر ما فيه .
- واستشعار عظمة الماضين .
- وانتفاع من شاء اللَّهُ من عباده به .

- ❑ وتقوية إعداد الأُمَّة في الحاضر.
- ❑ وَمَدّ آمالها المستقبلية على جسورٍ من العلمِ والمعرفة.
- ❑ وتحريك الهمم وشحذ الأَذهان بالعلمِ والبحث.

❑ ❑ ❑



وَلَقَدْ هَبَّت في عصرِنا ريحٌ طيبة، أَنعشت ذوي القُدرةِ واليسارِ في العلمِ، بإِحياءِ كنوز التُّراث وإِظهاره للنَّاس، لكن: «لابدَّ في التَّمرِ مِنْ سُلَّاءِ النَّخْلِ، وفي العسلِ من إِبرِ النَّحلِ» فقد صاحب هذه البَشَارَةَ نَذَارَةٌ، صاحبها ريحٌ عاصف، وأَصابها صِرٌّ قاصِف؛ إِذْ أَضْحَتْ هذه الثَّروة الَّتي تميَّز بها المسلمون عن سائر الأُمَمِ، نِهَاباً تَرَاهَا في كَفِّ كُلِّ لاقطٍ، يتوازعها الجياعُ بصلابةِ جبينٍ، فيتلقونها بأَكفٍّ مفتوحةٍ كأَنَّما هي من كَدِّهم وَكَدِّ أَبيهم، وترقصُ أَقلامُهم بين سطورِها متصرِّفة بما بدا لها، تَصرُّف المُلاكِ في أَملاكِهم، وذوي الحقوق في حقوقِهم، وهُم لا يستحقونها بنسبٍ ولا بسببٍ، بَلْ هُمْ محجوبون ممنوعون لاختلافِ الدِّين، أَوْ رِقٍّ أَصاب العقول.

فصارَ إِظهارُ جملةٍ كبيرةٍ من التُّراث مطبوعاً يعتريه عوامل نَحْسٍ مَهُوْلَةٍ تُمَثِّل ظاهرةً مؤلمةً جاءت بالخاطئة، ونهضةً مهجنةً خافضة، تَرْتَعِدُ من هُجنتها فرائص أَهل البصائر

منها:

١ ـ **مسخ الكتاب عن مكانته التي خطَّها قلمُ مؤلفه**. فإِذا كان العلماءُ بالأَمس يقولون: «**النَّاسخُ ماسخٌ**» فإِنَّا نقول اليوم: «**الطابع عابث**»؛ لما تراه من الفرق بين الأَصل والمطبوع، كالفرق بين طَلْعَةِ الصُّبْحِ وفَحْمَةِ الدُّجَىٰ.

٢ ـ **اغتيال الطبعة القديمة**، فترى الفرق بين الطبعتين كالفرق بين الرَّجلين.

٣ـ **وَأْدُ التَّحْقِيْق**، فترىٰ الكتاب يَخْدِمُهُ عالمٌ متقنٌ ثم يَسْتَلُّهُ متعالمٌ صعلوك فَيُحَوِّرُ في الحواشي، بعد أَنْ يَتَنَمَّرَ في المقدمةِ بِثَلْبِ الطبعة السابقة.
ولهم مسالك شتَّىٰ.

٤ـ **تَنْتِيْفُ الكتب**، باختيارِ بحثٍ أَوْ سَلْخِهِ من كتابٍ لابن القيم ـ رحمه اللَّهُ تعالىٰ ـ مثلاً، فَيُكْتَبُ علىٰ غلافِهِ: تأْليفُ ابن القيِّم. دون الإِشارة إِلىٰ أَنَّه من كتاب له. وهذا غاية في التَّغريرِ والتَّلبيس.

٥ـ **تَقَصُّدُ التَّحريف**، والتَّبْديل، وتحويل النُّصوص إِلى تأْييدِ مذهبٍ ما؟!
وقد أَفردتُ عن «تحريفِ النُّصوصِ» كتاباً وهو مطبوع.

٦ـ **عبث الورّاقين**، من دورِ النَّشرِ، والطِّباعة، والكتبيين مُتَحَسِّسِيْنَ حَاجَةَ السُّوقِ، فيخرج الكتاب من عمل مكتبِ التَّحقيقِ ـ الوهمي ـ بالمطبعة، أَو المكتبة.

٧ـ وأَخَصُّ منه، أَنْ يُرْسَمَ علىٰ طُرَّةِ الكتابِ: حقَّقَهُ فلان. وما رآه قط.
يعملون هذا استغلالاً لأَسماء ذائعةِ الصِّيْتِ، مسموعة الصَّوتِ في الأَوساطِ العلميَّة، طَلَباً لِكَسْبِ الثِّقَةِ بإِخراجِ الكتابِ وترويجِه.

٨ـ وأَخَصّ من هذا: نسبة الكتابِ إِلىٰ غيرِ مؤلفِهِ للتَّرويجِ تارة، ولإِفسادِ الأَحكامِ والعقائدِ تارةً أُخْرىٰ.

٩ـ وأَشملُ من هذه: انتحال الكتب والرَّسائل لاسيما في الأُطروحات.
وانتحال الكتبِ واستلالها داءٌ قديم، وفيه مؤلفات مفردة، وباسم: «السَّرقات الأدبيَّة».

١٠ـ التَّصرُّف باسم الكتاب، حتَّىٰ إِنَّ الكتابَ يُطبع عدةَ طبعاتٍ بعدة أَسماء، ليس فيها واحد سماه به مؤلفه، بل إِنَّ التغيير لاسم الكتاب قَدْ يَنُمُّ عن ذِلَّةٍ وانهزام، وكان من آخر ما رأَيته مطبوعاً كتاب: «مَقَامِعُ أَهْلِ الصُّلْبَان

وَمَرَاتِعُ أَهْلِ الإيمان» لأَبي عُبَيْدَةَ أَحْمَدُ بن عَبد الصَّمد الخَزْرَجِي، المُتَوَفَّىٰ سنة ٥٨٢هـ طُبع باسم: «بَيْنَ الإِسْلاَمِ والمَسِيحِيَّة» وَهُوَ عُنْوَانٌ مُخْتَلَقٌ مَوْضُوعٌ، وفيه مُلاَيَنَةٌ لِلنَّصَارَى من وجوه لا تخفى.

وهذا باب يَصْعُبُ حَصْرُه.

١١ـ نفخ الكتاب بالتَّرفِ العلميّ، وَزَغَلِ التَّحقيق.

١٢ـ تَسَتُّرُ أَهل الأَهواءِ بكتبِ السَّلفِ الَّتي تحمل الإسلام على ميراثِ النُّبوَّةِ صافياً، فينهض أَهلُ الأَهواءِ إلى إِخراجها، وتحشيتها بضرائر: من وساوس المبتدعة، وتُرَّهات الصُّوفيَّة، ومعاول المؤولة، وأَفاعيل المتعصِّبة في الأَصلِ والحاشية.

ومن أَبرزها ظاهرة «**تحنيف الكتب**» حتى جاؤا بالمضحكات، ومنها قول بعضهم على قول أَبي الشيخ في كتابه «أَخلاق النَّبِيِّ ﷺ»: «وكان ﷺ عنده سيف حنفي».

علَّق عليه المتعصِّبُ بقوله: «نسبة للإمام أَبي حنيفة».

ثم جاءت نفثاتُ المستغربين الجُدُد، فَطَمُّوا الوَادِي على القُرَىٰ.

١٣ـ «**تَسوُّل العلم**» وحقيقته: عَمَلُ المتشبّع بما لم يُعْطَ: باستئجار المملقين لتحقيق التُّراث، وإخراجه بتحقيق المستأجِر، وَلَمْ يَخُطَّ قَلَمُهُ حَرْفاً، وَلَمْ يُشْرِفْ على أَصل ولا حاشية، فرحم اللَّهُ أَهلَ الحياء، وأَعان على قمع هؤلاء المتسولين.

وفي «أَمالِي ابن الشَّجَرِي»: (١/ ١١):

فَإِنَّ الدرهم المضروب باسمي ... أَحَبُّ إِلَيَّ من دينار غيري

١٤ـ سَطْوُ فاقدي «الكفاءة في العلومِ الشَّرعيَّة واللسانيَّة» على تراثِ سلف الأُمَّة، وإخراجه باسم التحقيق.

ولبعضهم «محققاً» لمَّا مَرَّ علىٰ آيةٍ من كتابِ اللَّهِ تعالىٰ، قال معلِّقاً: «لم نهتد إلىٰ موضعها من القرآن الكريم»!

ولآخر قال عن حديثٍ: «أَخرجه النَّبيُّ ﷺ».

فالطبيب، والبيطري، والصيدلي، والمهندس، والزراعي، والكهربائي، و«الحداد» وأَصحاب الحِرَفِ المهنيَّة الأُخرىٰ ممن لا تستغني الأُمَّة عنهم في مجالِهم، تطاولوا على كتبِ السَّلفِ، في التَّفسيرِ، والحديثِ، والفقه ....

مَتَىٰ مَـا أَتيتَ الأَمـر مـن غيرِ بابه ضَلَلْتَ وإِن تدخل من البابِ تهتد

فَنَفَذَ فيهم قولُ النَّبيّ ﷺ: «اتخذ النَّاسُ رؤوساً جُهالاً».

ولا نشكّ في حسنِ نية بعضِ هؤلاء، لكن من دخل في غير فَنِّهِ أَفسده.

والمُتَعيّنُ إِيْصَادُ الباب؛ لِتَعَسُّرِ التَّمييز بين الفريقين، وحتَّىٰ لا يُفتح بابُ الإِذْنِ لِمَنْ عَرِيَ عَنْ نِيَّةٍ حَسَنَةٍ.

ونقولُ لهؤلاء: لابد من مرحلة الطَّلب للعلومِ الشرعيَّة نظير مرحلة الطَّلبِ لهذه الحِرَفِ الأُخرىٰ.

١٥ـ **وَلَعُ المبتدئين بإِخراج التُّراث**، وَهُمْ لَمْ يهضموا ما فيه من العِلمِ بَعْد ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

وهاتيك «الكنى الملحونة» لا ترشحهم لهذا.

وقد جاؤا في إِثبات نصّ المخطوطات بالأَعاجيب:

أَقول له زيداً فيسمع خـالداً ويكـتبه عـمـراً ويقـرأه بِشـرا

١٦ـ المتابعة لِلَفيفِ من الكفَّار «المستشرقين»[1] بطبع كتب السِّحر، والكَهانة والتَّنجيم، والقصص الكاذب، والأَدبِ المكشوف، وكتب أَهل البدع

---

(١) انظر في تفصيل ذلك كتاب: «أخطار على المراجع العلمية لأئمة السَّلف» للصافي.

والأَهواء المضلَّة كُلٌّ بقدرِ ما استبطنه من الأَهواءِ والشَّهوات الَّتي تُضِرُّ الخلق، وتُغضِب الخالق سبحانه.

وهذا من الدَّعوة إلى الضَّلالِ، وفي الحديث:

«من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأَجرِ مثل أُجورِ من تبعه لا ينقص من أُجورِهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثمِ مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً» رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب السنن.

١٧ـ وَثْبَةُ الأَدْعياء على كتب العُلماءِ، باختصارها مِمَّن لاَ يُحْسِنُ مَا فِيْهَا، فَيُخِلُّ بمقصودِ مُؤَلِّفِهِ، ويمسخه عن مكانته، ولا يكون له من صدقِ القولِ إلاَّ مَا رُسِمَ علىٰ الغِلاف، أَمَّا داخله «الاختصار» فَيَحْمِلُ غَوَائِلَ مُتَعَدِّدَة.

وَأَقولُ بِلاَ مُوَارَبَة: إنَّ أَسوأَ اختصارٍ قَرَعَ سَمْعَ الزَّمانِ ـ فيما نعلم ـ إذ جنىٰ صاحِبُهُ على «الأصل» هو: مختصر الصابوني لتفسير ابن كثير، وابن جرير، ولتفاسير أُخرىٰ في «صفوة التفاسير» فجميعها لاَ تَتَرَشَّحُ للاختصار الأَمين.

فقد اعتدىٰ علىٰ هذه «الأُصولِ» بغيرِ حقٍّ، وَمَسَّها بتحريفٍ وتبديلٍ، ولو كان أَحَدُهم حيّاً، لتبرأَ من هذه الدُّخُولاَت بما لم يرقمه ولا يعتقده؟!

❑ ❑ ❑



الدوافع

هذه الوجوه من العبثِ بالتُّراثِ، ليست من بابِ تَصَيُّدِ العَثَراتِ، فَمَنْ ذَا الَّذي يَسْلَم من أَهلِ العلمِ.

ومن أُصولِنا: أَنَّ العالمَ لا يُتْبَعُ بزلَّتِهِ، ولا يُؤخذ بهفوتِهِ، وَلَوْ جُرِّمَ كُلُّ عالمٍ بِزَلَّةٍ حصلت لَهُ لما بقي معنا أَحد، لكن هذه الوقائع في الوقتِ الَّذي تُمَثِّلُ «فَشَلَ الموقف في حمايةِ التُّراث» فهي أَوجاع تُؤلف ظواهرَ في فوضىٰ التَّحقيقِ والتَّدقيقِ.

وإِنْ سأَلتَ عن عِلَّةِ هذا الهبوط، والدَّوافع إِلىٰ هذا البلاء المتناسل من العللِ فهي أُمور، إِليك بيانها:

١ ـ محبة الخيرِ مع فُشُوِّ الجهل، وتقليد الأَوراق.

وحب الخيرِ المجردِ من كلِّ خيرٍ ـ الدَّليل ـ لم ينفع المتفقِّرة الَّذين وضعوا الحديثَ علىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقالوا: (نحن نكْذِبُ له لا عليه).

٢ ـ التَّأَكُّل، وطلب المال ليس إِلَّا؛ ولهذا يركبون لجلْبه الصَّعب والذّلول.

٣ ـ لَوْثَةٌ في الاعتقادِ، كُلٌّ بِقَدْرِ مَا عَبَّ من هذا الدَّاءِ وَنَهَل.

٤ ـ النّكاية بالمسلمين، وهذا في عمل جمع من الكفَّار: «المستشرقين»، وهؤلاء لهم ماضٍ عريق، من يوم أَن وضع جَدٌّ لهم يدَه على آية الرَّجْم.

٥ ـ سَعْيٌ لاهثٌ وراء الشُّهرة والظُهور.

* * *

هذه سجايا ينتمي بعضُها إلى بعض، هي مَعَ أَخَوَاتٍ لَهَا من المُشكلاتِ وَالعُقَد: وَيْلاَتٌ وَعَاهَاتٌ «ترمي في المحاجر قَذًى» و «تفقأُ في العينِ حِصْرما».

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾.

فهي تُعطي صورةً مُشَوَّهَةً عن «الفئةِ الباغيةِ على التُّراثِ» وتُسقطهم من مقامات العُدولِ إلى دركات الضُّعفاء والوضَّاعِين.

انظر: كيف نَكَّسَ اللّٰهُ طِبَاعَهم بسوءِ فِعَالِهم وعلانيتها وقضوا علىٰ أَنفسِهم، كَدُوْدَةِ القَزِّ تطوي علىٰ نَفْسِها حتَّىٰ يؤذن اللّٰهُ بِهَلاَكِها.

وهي مجموعة هجمات شرسة عنيفة علىٰ «التُّراث»، وَجُرْأَةٌ فارهة، وانحدارٌ به، واعتداءٌ عليه من الأَصاغرِ - أَي المبتدعة - تارةً، ومن صغارِ النُّفوسِ تارةً أُخرىٰ، فاتحين في تلك الحصونِ المحكمةِ ثَلْماً، وفي السَّفينة نَقْباً؛ لتؤول حال المسلمِ مع هذا الرُّكام إلىٰ التسليم له على غير هدى؛ يُقَادُ فَينقاد، كالدَّفترِ يَنقل ما يُكتب ويَحكي ما يُقال.

انظر: كيف طَوَّعَتْ لهم أَنفسُهُم قَتْلَ تُراثهم وأُمَّتهم.

وهي تمنح تحركاً مطلقاً لاقتحام الحمىٰ، وتقويض البناء، والخوض في حُرماته خوضاً غير مشروطٍ بعلم، ولا تخصص ولا تقوىٰ، بل ولا علىٰ ترخيص «ولائي» فإذا اشتهت النَّفسُ الأَمَّارَةُ تناول التُّراثِ، فليمد المشتهي يده - شُلَّتْ يمينُه - لِيَخُبَّ فيه ويضع بلا رقيب من نفسه ولا من غيره.

انظر: كيف فتحوا علىٰ الأُمَّةِ بابَ غواية.

وهي تحمل الافتراءَ من وجهٍ، والتَّزويرَ من وجهٍ، والرِّياءَ من وجهٍ، ومخاتلةَ النَّفس بدعوىٰ المَحْمدة بما ليس لها من وجهٍ، واستباحةَ إنتاج غيره من وجهٍ - وكل المسلم علىٰ المسلم حرام - وإعلان ذاك الفاعل قُصور مَلَكَتِه

عن التَّأْليف المبدع من وجهٍ، فتسنَّمَ جهودَ غيرِه ليصعد، فسقط من حيث لا يشعر.

أَلَا شَاهَتْ وجوهٌ جَفَّت من الحياء.

إِنَّها «بِدْعَةٌ كُبرىٰ» تُهدِّد التُّراثَ الإسلاميَّ بأَسْرِهِ، في صورةٍ قاتمةٍ لم يشهدها التَّاريخُ مِنْ قَبْل!

أَيُّهَا العلماء: إن استمرت الحالُ على ذلك الباطل ـ «حاميها حراميها» ـ يَمْشي هكذا في الأَرضِ مرحاً، ويُثير علىٰ التُّراثِ نَقْعاً، فإِنَّ خصومَ الإِسلامِ في التُّراثِ قد كُفُوْا مؤنة العمل لهدمِهِ، بالأَمس يُسَوِّدُ به ماء دِجْلَة، وَيَحْجِبُ دُخَانُهُ آفَاقَ الأَندلس، واليوم يُقَوِّضُ البناء من الدَّاخلِ، بطمسِ معالِمِهِ، وتشويشِ آثارِهِ، وتشويهِهِ، وتشذيبِهِ، وتفريغِهِ من محتواه السَّليمِ، ودحرجة السالكين وَنُقْلَتهم عن الصِّراطِ المستقيم والمنهجِ السَّليمِ، إِلىٰ التِّيْهِ والضَّلَالِ البعيدِ.

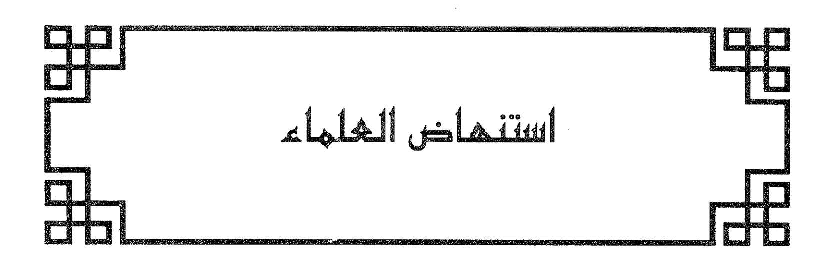
وما هذا التَّداعي علىٰ التُّراثِ بالتَّحريفِ، والتَّشويهِ، والتفريغ . . . إلا أَساس دسائس الكافرين؛ لتحريف هذا الدِّين، والصَّدِّ عنه، وتفريق أَهله، وتفجير الصِّراع بينهم.

وإِنْ كان في الزمن فُسْحَة، وفي الحال مُكْنَة فسوف «نهدم الصَّومعةَ على الرَّاهب» بإِذن اللَّهِ؛ لأَن الإِسلامَ لا يعيذ عابثاً غير عابىء بتراثه، مقارضين هؤلاء الجناة الحديث صراحة بصراحة، بِمؤلَّفٍ مفردٍ ينتظم ما يتم الوقوف عليه من وجوه العبثِ بالتُّراثِ، وَرَأْسُ مَالِنَا في المقارضةِ هو «الحق» ومن كان الحقُّ معه فلن يُغلب بإِذن اللَّهِ تعالىٰ.

وقد مَنَّ اللَّهُ سبحانه عَلَيَّ، وهو المَانُّ وحده، بطلائع لهذا المشروع، منها:

١ ـ التَّعالم وأَثره علىٰ الفكر والكتاب .
٢ ـ براءة أَهل السُّنَّة من الوقيعة في علماءِ الأُمَّة .
٣ ـ التَّحذير من مختصرات الصابوني في التفسير.
٤ ـ تحريف النُصوص من أَدلَّة أَهل الأَهواء .
٥ ـ الرقابة على التُّراث . وهو قَيْدُ نَظَرِك .

□ □ □



استنهاض العلماء

أَمام هذا الطُّوفان الهائج، والموجةِ الكاسحةِ، والحقِّ المسلوب المفرغ من ذاتيتِّه بأَقلامِ الغواية والمجلوب في السُّوق، في إِطار: «كارثة التُّراث».

نناديِ بكلِّ قوَّةٍ في ساعةِ العُسرةِ، علماء المِلَّةِ ذاكراً قول اللَّهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلْقَوْمِ﴾:

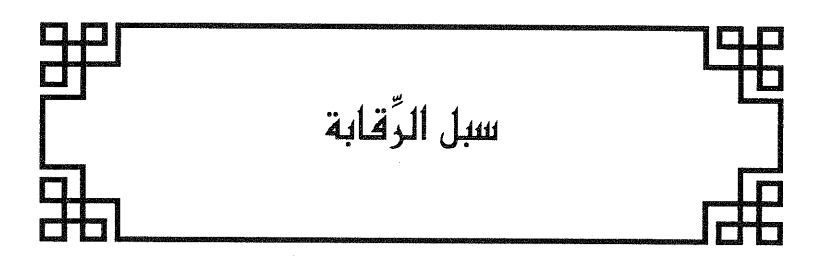
فإِلىٰ كَفِّ أَيدِيهم، ودفعِ شرورِهم، والرحمةِ بالمسلمين منهم عن الخوضِ في هذه المآثم، فإِنَّ غبارَ الفتنةِ ـ أَيُّهَا العُلماء ـ ثائر، وَقَدْ تَوَلَّدَتْ من تحتِهِ هذه العظائم، فلا تتماروا بالنُّذرِ.

أَيُّهَا العلماء: لابد من تشييدِ رؤيةٍ إِسلاميَّةٍ صحيحةٍ، ونظرةٍ شموليَّةٍ سديدة، تنتصر لهذا الحقّ الشَّرعِي: «التُّراث» وتحميه مِمَّا لَحِقَهُ مِن ضَيْمٍ، وتقويضٍ لمتنِهِ ومبناه، وتحويلٍ لِنَصِّهِ ومعناه، وأَنْ تُقام الضَّمانات لحجبِ هذا العبث، وحماية التُّراث من جنايةِ البُغاةِ عليه:

من مفسدين حاقدين، ومن متأَكِّلين، ومتعالمين. وتنظيف السُّوق ـ وقد غَصَّتْ به ـ من تسللِ هذا العبث إِلىٰ دورِ العرضِ والكتب.

ولاَبُدَّ مِنْ تَخْصِيْبِ اليقظة الإِسلاميَّةِ برعايةِ حرمةِ هذا الميراث ـ المميّزِ لهم عن سائر الأُمَمِ ـ بالفكرِ المُستنيرِ، والعلمِ النَّافع.

وما بعث هذا الجهاد الدِّفاعيّ لهذه «الكارثة التُّراثيَّة» إِلاَّ من أَداءِ الواجب، والفقهِ في الدِّين، وتعاهد الإِيمان بالقولِ والعمل.



ليس المُراد هنا ذكر «أُصول إخراج التراث» مطبوعاً، فهذا أَمر قد فُرِغ منه، وقد بَذَلَ المعاصرون جهداً جاهداً في ذلك، بمؤلفاتٍ مفردة، علىٰ شذراتٍ متناثرةٍ عن المتقدمين، وعلىٰ مجموعِ الهيئةِ الحاصلة من معاناتهم في النَّسْخ والمقابلة، وطرق الرِّواية، والإجازة، والسَّماع، حتَّىٰ أَكسبه المتأَخِّرون علماً مستقلاً هو: «مناهج التَّحقيق».

وإِنَّما المراد هنا ذكر طرقِ الرقابةِ وسبلها، والضَّمانات الحافظة للتُّراثِ؛ ليبقىٰ للمسلمين، يتوارثه الخلفُ عن السَّلفِ، علىٰ هيئتِهِ الَّتي تركه عليها مؤلِّفُوه.

وقد بذلَ أَساتيذُ العصرِ، جهوداً مفردة، وتعاليقَ متناثرة، فَرَعَوْا حُرْمَةَ التُّراثِ حقَّ رعايتها، كلٌّ بما وسعه من النافذةِ الَّتي يُطلّ منها.

واحد في التفسير، وآخر في الحديث، وثالث في الفقه، ورابع في الأدب والتَّاريخ، وهكذا.

ومنها:

١ ـ «نموذج من الأَعمال الخيريَّة»: محمد منير الدمشقي.

٢ ـ مطارحة بين الشَّيخين أَحمد شاكر، وصقر في مقدمة شاكر لكتاب «الشِّعر والشُّعراء» لابن قتيبة.

٣ ـ مقدمة محمود شاكر لكتاب «طبقات فحول الشُّعراء» لابن سلام.

٤ ـ مقدمة أَحمد أَمين لأَخبار أَبي تمام من كتاب: «الأَوراق» للصولي.

٥ ـ «الدكاترة وعبثهم في التُّراث»: حمد الجاسر.

٦ ـ «فوات المحققين»: علي جواد الطاهر.

٧ ـ «قطوف أَدبية»: عبد السلام هارون.

٨ ـ «كبوات اليراع» و«أَوهام الكتاب»: أَبو تراب الظاهري.

٩ ـ «جناية الأَكوع على ذخائر الهمداني»: أَحمد محمد الشامي.

١٠ ـ «المدخل إلى تحقيق التُّراث»: للطناحي، ففيه وفي غيره فوائد مهمَّة في هذا.

١١ ـ وأَما الكتاب الذي أَربىٰ على من عاصره، ولم أَر في بابه مثله، فهو كتاب:

«أَخطار على المراجع العلميَّة لأَئمة السَّلف»: عثمان بن عبد القادر الصافي.

طبع عام ١٤١٠هـ. نشر دار الفاروق بالطائف.

١٢ ـ «كتب حذَّر منها العلماءُ»: مشهور حسن. وفيه مقدمة حافلة.

وفي كتابي «التَّعالم وأَثره على الفكرِ والكتاب» بحوث في هذا.

وَثَمَّ جهود متناثرة بأَقلام العلماء، على قدرِ القرائحِ والفهومِ، مَسَّت بالنَّقدِ عبث العابثين، كل بما اقتضته له المناسبة، في المقدمات، والحواشي مما لو جُمع لكان تأْليفاً مستقلاً، مع ما يتهامسون به في النَّدوات والمجالس.

□ □ □



النتيجة

بما أَنَّ الحال كذلك، وأَنَّ القضيةَ مصيريَّة، فالتُّراث زاد العُلماء، وإذا جُنِحَ بِهِ إلىٰ غيرِ وجهتِهِ، وتولَّاهُ غيرُ أَهلِهِ سقطت قُوىٰ العلماءِ العِلميَّة والأَدبيَّة، وهذا إيذانٌ بضياعٍ في الأُمَّةِ في كلِّ تفاصيلها.

وبما أَنَّ الأَمرَ في غايةٍ من الخطورةِ والأَهميَّةِ، لا يجوز أَنْ يُترك هكذا، يعبث العابثون، ونحن في غيبوبةٍ وصدودٍ عن دفعِ هذا التَّردِّي الأَخلاقي.

وإذا نهضَ المصلحون منا بالإصلاح، فإنما ينهضون لترقيع مَا بَجَسَتْهُ تلك الأَقلام النَّكدة.

لهذه الأَسباب لابُدَّ من عملِ حُلولٍ تَحْجب هذا العبث، وتكشف حقيقته، وتكسر شوكته، وتحاصر الجُنَاة، وتُبدد شملهم، وتكتم أَنفاسهم، وتُرعىٰ من خلالِهِ حُرمة التُّراث، ويُتَّخذ موقف يرفع معرَّةَ هذا التَّردِّي، ويضبط مسار الأُمَّة من الضَّلالِ والتَّضليلِ، ويُنصف الحقُّ من الغاصبين.

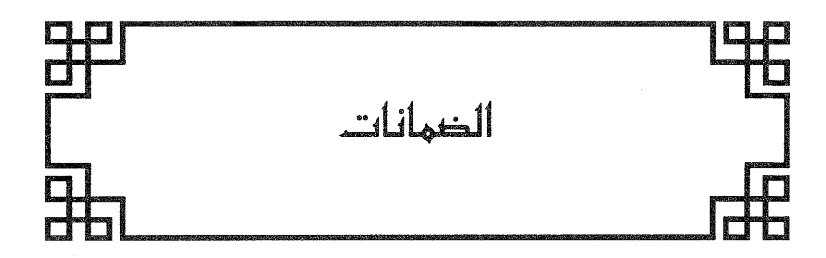
وَفَوْق ذلك: احتساب الأَجر والثَّواب في هذا الجهاد الدِّفاعيِّ عن حرمةِ التُّراثِ وهذا غاية في بذلِ النُّصْحِ للَّهِ، ولرسولِهِ ﷺ، ولكتابِهِ، ولأَئمةِ المسلمين، وعامَّتِهِم، كما ثبت الحديث بذلك عن النَّبيِّ ﷺ في «صحيح مسلم» وغيره.

وعليه: ها أَنذا أُحرِّكُ القلمَ، وأطرقُ البابَ، مقيّداً مجموعةً طيبةً مباركةً من السُّبُلِ الواقيةِ من هذه اللاغية، أَسوقها علىٰ بساطِ النَّظرِ على عجل:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

فإلى هذه الضَّمانات:

□ □ □



١ـ الدَّعوة إلى عقدِ مؤتمر إسلامي عن التُّراثِ، يَتَمَحْوَرُ عَلَىٰ كَشْفِ التَّحريفِ والمحرِّفين.

٢ـ إعداد «ميثاق إسلامي دولي» يُحفظ بموجبه تُراث المسلمين عن العابثين.

٣ـ إصدار «مجلة» تراقب ثورةَ الإنتاج الطِّبَاعي فيُقَوِّمُ الإنتاج لتحقيق أَيِّ كتاب، بميزان العدل والإنصاف، وإعلان ما ينتهي إليه مَدْحاً أو قدحاً، فمرحباً بالمنافحين غَيْرَ خَزَايَا ولاَ نَدَامَىٰ.

٤ـ تكثيف العلماء جُهُوْدَهَم بنقدِ العبث في التُّراث تصريحاً لا تلويحاً، وبيان ذلك لأَوَّلِ مناسبة في مؤلفاتهم، ودروسهم، ومحاضراتهم . . .

٥ـ تَخوِيْلُ «الادعاء العام» محاكمة من يَمَسُّ التُّراثَ بفعلة سوء.

٦ـ إلزامُ المحققين بذكر تخصصاتهم تحت أَسمائهم علىٰ أَغلفةِ الكتب، أَما «الدكتور» ففي أَيِّ شيء؟!

٧ـ هجرُ هذه الطبعات السَّقيمة، وعدم تسويقها:
«فدعْ عنك نهباً صِيحَ في حجراته».

٨ـ إنزال من لم يَشْدُو العِلْمَ الشَّرعي منزلته التي يستحقها بِلاَ وَكْسٍ وَلاَ شَطَط، فَالسَّبَّاكُ يبقىٰ مع السَّبَّاكين، والطبيب، والبيطري، والصيدلي، . . . كذلك، كل صانع وصنعته، ومحترف وحرفته.

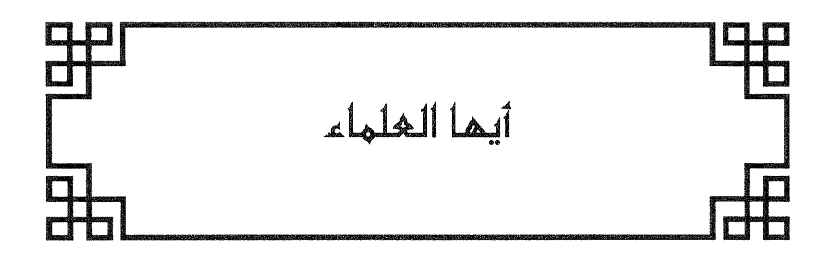
٩ـ توجيه الأَنظار إلىٰ إعادة تحقيق وطبع ما كان سبيله كذلك، لتسقطَ السَّابقةُ من الحساب، ولا يكون لها مُتَّسَعٌ في الميدان.
وحينئذٍ يعلم المنصفون أَيُّهما أَزكىٰ تحقيقاً.

١٠ـ ترغيب ذوي القُدرة واليسار من أَثرياء المسلمين بإِنشاء وتمويل مراكز لتحقيق التُّراث على منهج سليم، وتعطىٰ الأَولويَّة لما طُبع على يد غير أَهله.

١١ـ إدخال هذه اللفتة عن «العبث بالتراث» في مناهج التَّعليم الجامعي، تحذيراً من الوقوع في ويلاتها، حتَّىٰ لا تعود الشَّريعةُ إِلى دينٍ محرَّف، واستنهاضاً للهمم بتحقيق ذلك بعد استكمال عدَّة التحقيق.

١٢ـ وقبل هذا وبعده المناداة بكل قوة وصرامة بمنع الكفَّار «المستشرقين» من التَّعرُّضِ لحقِّنا التُّراثي الموروث لنا بحكم الإِسلام، ورفع أَيديهم الغاصبة عنه.

□ □ □



أيها العلماء

إنَّ المناشدة بهذه «الضَّمانات» الرَّقابيَّة علىٰ التُّراث ليست بِدْعاً في الإجراءات:

فهذه «وثيقة حقوق الإنسان»، ومن موادها حفظ حقوق المؤلِّفين، فلماذا لا يُضاف إليها حفظُ تراث المسلمين؟!

وهذه «منظمة الصِّحة العالميَّة» و «منظمة حماية البيئة» بهدف استصلاح الأَبدان، فلماذا لا يُحْجَرُ على العابثين بالتُّراثِ لحمايةِ دين الإسلام!

وهذه «جمعيَّة الرِّفق بالحيوان»، والرفق بالحيوان؛ وعدم الإساءة إليه، أَمْرٌ مُسَلَّمٌ به في فِطَرِ العُقلاءِ، ومعلوم بالضَّرورة من دين الإسلام، لكن لمَّا كان الكافر بدين الإسلام يعيش في خواء وجفاف، حتى بلغ من ماديته وجفافه: تخلص الابن من والديه، بتحويلهم إلىٰ ملاجىء العجزة، والتَّلهي بالحيوان، والغلوّ فيه، فهو جليس الواحد منهم، وأَكيله، وشريبه، ورفيقه في الحِلِّ والتَّرحال؛ حتَّىٰ صدرت وصيَّة أَحدهم بأَرقامٍ خياليَّةٍ من المال لكلبِهِ الأَلِيف له، حينئذٍ أَنشأُوا جمعيَّة الرِّفق بالحيوان، لحظوظ أَنفسهم لا لمصلحة الحيوان!

والطُّيُورُ عَلَى أَشْبَاهِها تَقَعُ.

أَمَّا هذا التُّراث: «الكتاب» فإِنَّه من خصوصيَّاتِ المسلمين، فليس من شأْنِ الكافرين المبادرة إلىٰ حفظِ قِيَم المسلمين.

والآن: نُنَاشِدُ باللَّهِ مَنْ مَرَّ بَصَرُهُ علىٰ هذا الخطاب، أَوْ طَرَقَ سَمْعَهُ، فرآه نداءً بحقٍّ، أَو بدا له أَحَقُّ منه أَنْ يبذل ما في وسعه لحماية «الكتاب» من عبث الجناة. فحمايته من العبث فيه، وحماية الأُمَّة من هذا الغشِّ العلمي والثَّقافي: واجب على ذمَّةِ الأُمَّة، كلّ بقدرِ ما يسعه ماله، وعلمه، وجاهه. . .

وإلىٰ هنا يقف البحث عن «الرّقابة على التُّراث»، وفيه ـ إن شاء اللَّهُ تعالىٰ ـ غُنْيَةٌ للرَّاكب المستوفز.

وسلامٌ عليكم أَيُّها العلماء الأَجلَّاء في العلماءِ العاملين، وسلامٌ عليكم في عباده الصَّالحين، وسلامٌ عليكم في الذَّابّين عن تراثِهم إلىٰ يوم الدين.

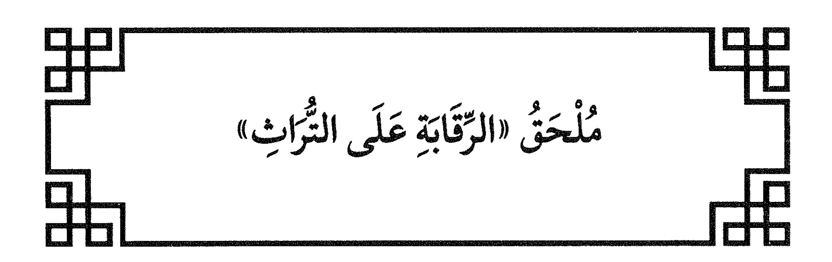
و ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾.

واللَّهُ الهادي إلىٰ سواءِ السَّبيلِ.

راقمه

بكر بن عبد الله أبو زيد

المدينة النبوية ـ ٣٠/ ٦/ ١٤١٢هـ



مُلْحَقُ «الرِّقَابَةِ عَلَى التُّرَاثِ»

لَمَّا طُبِعَتْ هذه الرِّسالة، فَرِحَ بها المُنصِفُونَ، وَتَلَقَّاها رجالُ العِلْمِ والفكرِ بِالرِّضَى وَالقَبُولِ.

وَقَدْ وَصَلَنِي بِشَأْنِها مُكَاتَبَاتٌ، أَختار منها ما كتبه إليَّ فضيلة الشيخ/ عبد العظيم الدِّيب، أُستاذ الفقه بجامعةِ قطر، وهذا نص كتابه:

الأخ الجليل فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله تعالىٰ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأملنا أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم عل خير ما تحبون من توفيق الله ورضاه، فيما تستقبلون من أُمور دنياكم.. وبعد:

بالأمس فقط حمل إليَّ البريد من أحد أبنائي الذين يدركون مدى اهتمامي بتراث أُمتنا ـ رسالتكم الكريمة «الرقابة على التراث»، فما وضعتها من يدي حتى قرأْتها، فروت ظمئي، ونقعت غُلتي، وجاءت برداً وسلاماً على كبدٍ حرّى، وتنفستُ الصعداء، وأنا أقول: ها قد مهد الشيخ للرَّحا محلّ القُطب، ووضع الهناء موضع النقب، وقد صادف الإثمد الحدقة، فآن لهذه القضية وقد حمل الشيخ لواءها أن تجد لها قاضياً، وأن توضع موضع الحزم والحسم.

فضيلة الشيخ الجليل، عندي مما مثّلتَ له من مستبشع العبث بالتراث الكثير مما يستخرج الضحك من الثكالى ولكنه ضحك كالبكا، وقد أشرتُ إلى طرفٍ منه في مقدمة الطبعة الثانية من تحقيقنا لكتاب «الغياثي» وقد جاء ذلك

في نحو عشر صفحات، وكذلك ما جاء في الصفحات ١٥٥م ـ ١٥٨م، من مقدمة الطبعة الأُولى للكتاب نفسه، وكذلك ما أشرنا إليه في ص١١٥م، من مقدمتنا لتحقيق كتاب «الدُّرَّة المضية».

وتحت يدي ممَّا صادفني من هذا ما يكفي لإصداره في كتاب بعنوان: «التراث بين عبث المجترئين وأوهام الخواص».

فضيلة الشيخ الجليل، لقد غبرنا زماناً، ونحن نئن ونتوجع مما يجري من هذا العبث، ونكتفي بأن نودع زفراتنا حنايا السطور، وحواشي الصفحات، ولا نزيد؛ وآن لنا أن ننتقل إلى العمل، فهلا تفضلتم ـ بمكانكم ومكانتكم ـ بالدعوة إلى ندوة لتدارس هذا الأمر حتى تخرج الآراء والأفكار إلى حيز التنفيذ والعمل.

وأتوقع أن يدور الحوار في هذه الندوة حول محورين:

أ ـ مظاهر العبث بالتراث.

ب ـ الوسائل العملية التنفيذية لوقف هذا العبث.

ولذا أتصور أن يكون من المدعوين من يمثل جهات الرقابة والإعلام، ومن يمثل كبار الناشرين الجادين، بجوار العلماء المختصين والباحثين.

سعادة الشيخ: الأمل في همتكم وجهودكم كبير، وسيكون لك ـ إن شاء الله ـ أجر هذا العمل الجليل في الدنيا وفي الآخرة عندما تعرض الأعمال على الناقد البصير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

(أ. د. عبد العظيم محمود الدِّيب)